

سورة التوبة

١٧

صفتي بنت جبريل الخطيب

الجزء الثاني

حكمة زواج النبي ﷺ منها

مترجم من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية

مترجم من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية

مترجم من اللغة العربية إلى اللغة الهندية

www.KitaboSunnat.com

تزوج الرسول ﷺ من صفية بنت حبي بن أخطب اليهودية الأصل ، بعد أن أسلمت وحسن إسلامها ، وبلغم معادة المسلمين بهذا الزواج الإنساني ، فقد أبدوا خوفهم على رسول الله ﷺ منها ، حيث خشوا أن تدبر له حيلة تتخلص بها منه انتقاماً لأهلها وقرمها .

ففي تلك الليلة التي دخل فيها الرسول ﷺ بزوجه صفية ، ظل أبو أيوب الأنصاري ، بالقرب من منزل الرسول ﷺ وهو يحمل سيفه ، فلما أصبح الرسول ﷺ سأله في دهشة :

مالك يا أبا أيوب ؟

فأجاب :

— يا رسول الله ، خفتُ عليك من هذه المرأة ، قد قتلت أباهما وزوجها وقرمها ، وكانت حديثة عهد بكفر فحفتها عليك .
فدعا الرسول ﷺ لأبي أيوب وقال :

— اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ا

ثم أمره بالانصراف بعد أن أشاد بصدق صفية وحسن إسلامها .

وقد تأخذ الرسول ﷺ بنفسه من حب صفية بنت خني له وخوفها عليه من اليهود في تلك الليلة التي تزوجها فيها .
ففي أثناء عودتها مع الرسول ﷺ أراد أن يقسم ليلة العرس في مكان قريب من ديارها فأنت صفية ذلك ،



حتى إن الرسول ﷺ أغضبه ذلك ، فلما اقتربا من المدينة ووصل النبي ﷺ إلى داره ، تزينت صفية على أحسن ما يكون ، وأقام لها الرسول ﷺ ليلة عرس تليق بها . وخطر للرسول ﷺ أن يسألها عن سبب رفضها النزول في الدار التي أعدها أولاً فقال لها :

- ما حملك على الامتناع من النزول أولاً ؟

فقلت صفية :

- خشيت عليك من قُرب اليهود .

فزاد ذلك من حُبها في قلب النبي ﷺ وتأكد من حسن إسلامها واتباعها له .

ولما سأل النبي ﷺ زوجته عائشة عن أبيها في صفة وقال لها :

- كيف رأيت يا عائشة ؟

فقلت عائشة :

- رأيت يهودية !

فقال لها رسول الله ﷺ :

- لا تقولي ذلك ، فإنها أسلمت وحسن إسلامها .

وليس بعد شهادة رسول الله ﷺ شهادة ، فهو لا ينطق
عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى .

ولذلك فقد كان الرسول ﷺ يتألم كثيراً إذا أغضبت
إحدى نساياه صفة بنت حنى وذكرتها بأصلها اليهودي .



ففي إحدى العزوات ، اصطحب الرسول ﷺ صفية بنت حنى وزينب بنت جحش ، وفي الطريق اعتل بعير صفية ، وكان مع زينب بنت جحش بعيران ، فقال لها النبي ﷺ :

- إن بعير الصفية اعتل ، فلوأعطيتهما بعيراً ؟

فقالت زينب :

- أنا أعطى تلك اليهودية !

وغضب الرسول ﷺ حين سمع هذه الكلمة من زينب ، ونهاها عن التلقظ بها مرة أخرى ، ولم يكتف ﷺ بذلك بل ظل ناركاً دار زينب ثلاثة أشهر كاملة لا يأتيها بسبب ما قالت في حق صفية (رضي الله عنها) .

وعاشت صفية (رضي الله عنها) في بيت النبي ﷺ سعيدة وراضية ، ووجدت في الرسول ﷺ الزوج والاب والأخ ، وفوق هذا كله وجدت فيه الرسول الإنسان ، الذي يفيض على من حوله بالحب والعطف ، ويتألم لآلام الناس ، ويأسى لجراحهم ، ولعله قد تألم لما حدث لها ففرق

لها قلبه الكبيرُ وأغدقَ عليها من حبه وعطفه .

وسعدَ الرسولُ ﷺ بصفيةَ ، فقد كانت امرأةً سالحةً
شديدةَ الذكاءِ والفطنةِ ، يدلُّ كلامها على براعتها وذكائها
الشديدِ .

ففي أولِّ يومٍ رآها فيه الرسولُ ﷺ قال لها :
- ثم يزلُّ أبوك من أشدِّ الناسِ عداوةً لي حتى تقتله .



فقلت :

- يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه العزيز :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (سورة الإسراء : ١٥٠)

فلما خبرها الرسول ﷺ بين العنق أو البقاء معه قالت :

- بل اختار الله ورسوله .

ولاحظ الرسول ﷺ أثر لظمة قديمة على وجهها فسألها عن ذلك ، فقصت عليه صفة الرؤيا التي رأتها عند أغوام ، إذ رأت تمراً وقع في حجرها ، فلما أصبحت وقصت على أمها الرؤيا قالت لها :

- ما هذا إلا أنك تتطلعين إلى ملك العرب محمد .

ثم لظمتها على وجهها لظمة قوية تركت هذا الأثر عليه ، ونظر الرسول ﷺ إلى صفة في شفة ، وقد أسعده ما قالته له ، وأشرق وجهه ﷺ بانتسامة راضية .

لقد أشاعت السيدة صفة النهجة والسعادة في حياة النبي ﷺ ،

فقد كانت بارعةً في الحديث ، شديدة الذكاءِ والعظيمة ،
كما كانت جميلة الخلق والخلق .

قالت عنها ماشطتها :

— ما رأيتُ بين النساءِ أجملَ منها .

وحاولتُ صفيّةً أن تكفر عن ذنوبها السابقة ، فراحَتْ
تتقربُ إلى الله بالطاعات والأعمال الصالحة ،



وكان ماضيها وماضي أمّرتها وأهلها في مُحاربة الإسلام
أمراً يُقلِّقها للعابية ، وكم تمنت أن يمحي عنها هذا التاريخُ
وهذا النسبُ الذي لا يُشرقها ، حتى لا يحد أحدٌ في ذلك
فرصةً للطعن في دينها وإسلامها .

لكن الرسول ﷺ ، كان يخففُ عنها هذا الشعور ، فهي
وإن كانت تنتمي إلى اليهود ، فقد كان جدُّها هارونُ ﷺ
يهودياً ، كما كان عمُّها موسى ﷺ نبياً عظيماً ، فلماذا
لا تنتسبُ إلى هؤلاء الأنبياء العظماء بدلاً من حِقنةٍ من
الأشرار ؟

جلستُ صفيّةً مع عائشة وحفصة ذات يومٍ ، فقالا لها
كلّاماً أغضبها ، حيثُ ذكرا لها أصلها اليهودي ، ولما دخل
عليها الرسول ﷺ رآها تبكي فسألها عن سبب بُكائها
فقالت :

- ذكرتُ عائشة وحفصة أنهما خيرٌ مني لأنني كنتُ امرأةً
يهوديةً !



وأضافت صفيّة قائلةً وهي تمسحُ دموعها :

ـ لقد قائتالي : نحنُ أكرمُ على رسول الله ﷺ منك ،
فنحنُ أزواجه وبناتُ عمه .

لمسح الرسول ﷺ دموعها بردائه وقال لها :

ـ ألا قلت لهما : وكيف تكونان خيراً مني ؟ وزوجي
محمدٌ ، وأبي هارونٌ ، وعمي موسى .



وأرضى هذا الكلام صفية (رضى الله عنها) ، ونزل
على قلبها برداً وسلاماً ، فحمدت ربها على ذلك ، وظل
لسانها يردد كل حين في افتخار :

- زوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى !

ومنذ أن عرفت صفية الإسلام وذاق قلبها حلاوة الإيمان ،
وهي تخلص للرسول ﷺ وتحميه حياً شديداً ، فقد كان ﷺ
بأحلاقه الرائعة سبياً في إسلامها .

وفي مرض الرسول ﷺ الأخير الذي مات فيه ، عبرت
صفية عن شعورها الصادق تجاه زوجها ورسولها ﷺ ، فقد
دخلت على الرسول ﷺ وهو جالس بين بعض نسائه ،
فراحت الألم يشتد عليه ، فبكت بكاءً حاراً ، وقالت :

- إني والله يا نبي الله ، لو ددت أن الذي بك كان بي .

فنظرت نساء النبي ﷺ إلى بعضهن ، كأنهن غير
مصدقات ما تقوله صفية ، فغضب الرسول ﷺ من
تغامرهن بها وقال لهن :

والله ، إنها لصادقة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ ، وفي خلافة عُمر بن الخطاب ،
أرادت حارية لصفية (رضى الله عنها) أن توقع بينها وبين
أمير المؤمنين فذهبت إليه وقالت له :
- إن صفية تحب السَّبَّ ، وهو يومُ احتفال اليهود ،
وتتصدقُ على اليهود وتصلِّهم بأموالها .



ورعت عمرُ من الخطابِ إلى صفية (رضي اللهُ عنها)
 وسألها عن ذلك فقالت :

— أما السبتُ ، فإنني لم أحبه منذ أبدلتني اللهُ به الجمعة ،
 أما اليهودُ فإن لي فيهم رَحِمًا ، فأنا أصلها .

وسألت صفيةُ (رضي اللهُ عنها) جاريتها التي كانت
 تُحسنُ إليها :

— ما حملك على هذا ؟

فقالت الجاريةُ وهي تُظهرُ دمعها :

— الشيطانُ .

فقالت لها صفيةُ :

— اذهبي ، فأنت حرّةٌ .

— لقد كانت السيدةُ صفيةُ بنتُ حُبيِّ بنِ أخطبَ يهوديةً

ذات يومٍ ، وكان أهلها جميعًا يُضمرونَ العداةَ والكراهيةَ

لِلرَسُولِ ﷺ ، لكنَّ اللهُ (تعالى) شاءَ لها الهدايةَ ،

وَأَنْعَمَ عَلَيْهَا بِأَنْ صَارَتْ زَوْجَةً لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ هَذَا
الرَّوْاجُ نَبِيلاً بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ ، وَكَانَ تَوْقِيعُهُ مُوَفَّقًا لِلْعَابَةِ ،
حَيْثُ أَخْرَجَ صَفِيَّةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالْيَأْسِ
وَالكُفْرِ إِلَى رَحَابَةِ الْإِيمَانِ وَسُمِّيَ تَعَالِيْمُهُ .



ونالت صفة (رضى الله عنها) رضا الرسول ﷺ ،
 فشهد لها بحسن الإسلام والصدق ، ولذلك فقد روى عنها
 كثير من العلماء ، حيث روى عنها ابن أخيها كنانة ،
 ومولاهما يزيد بن معتب ، وزين العابدين علي بن الحسين ،
 وإسحاق بن عبد الله بن الحارث بن مسلم بن صفوان .

وفي العام الثاني والخمسين للهجرة ، وفي خلافة
 معاوية بن أبي سفيان ، توفيت صفة (رضى الله عنها) ،
 رحمها الله رحمة واسعة ، ونفع أمهاتنا ونساءنا وبناتنا
 بسيرتها العطرة .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (١) الاختيار الصعب

رقم الأندلس : ٤ / ٧٢٢٤

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٧٧ - ٥٥٩ - ٤